أفلا يعني ذلك أن الناسخ نفسه يكون عرضة للنسخ أيضاً..؟ إن هذا هو عين ما حدث ـ ويحدث ـ في المقامة البشرية حيث إن إزاحة البحتري لم تمنح النص ملكية مطلقة على المعنى بل ظل النص الناسخ عرضة لمأزق دلالي لا يجامل ولا يستر.

ولقد قلنا إن ميزة نص بشر على البحتري هو في انطوائه على دلالات عضوية ذات بناء سببي/ سردي عادل. تساوت فيه الشخوص في قيمها الأخلاقية والدلالية، وسمت الدلالات بكونها دلالات وظيفة غير عبثية، وفي تلاحمها البنيوي في مقابل تفكك دلالات البحتري وعبثيتها وتناقضها.

وكان مفهوم العدالة أساساً دلالياً حيوياً في نص بشر. ومع العدالة جاءت (الحرية).

والنص يقوم على شرط الحرية مثلما إنه قد قام على مبدأ العدالة وجاءت الحرية حينما توجه الشاعر إلى الأسد قائلاً له بعد أن مات وتضرج بدمه:

فلا تجزع فقد لاقيت حرّاً
يحاذر أن يعاب فمت حرّا
فإن تك قد قتلت فليس عارا
فقد لاقيت ذا طرفين حرّا

تتردد صفة الحرية في هذه الأبيات لتكسو الطرفين وتعمهما في الحياة وفي الممات.

ولا ريب أن الحرية قيمة معنوية ونصوصية يرتقي بها النص ويتكامل مثلما ارتقى بصفة العدالة. غير أن المقامة كما نعرف تقوم